الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني (٥٥٥١ -٢٧٣٥) الترقيم الدولي الموحد للطباعة (٩٦٨٧-٢٥٣٦)

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة– العدد الثالث عشر

أسئلة الإمام ابن عادل الحنبلي ت ٨٨٠هـ وأجوبته في كتابه اللباب في علوم الكتاب المسائل العقدية أنموزجاً

أ. **حنان محمد حسن**(*)

ملخص البحث :

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين وعلي آله و صحبه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين . . وبعد .

جاء البحث بعنوان (أسئلة الإمام ابن عادل في تفسيره اللباب في علوم الكتاب وأجوبتها المسائل العقدية أنموزجًا).

رغبت الباحثة في دراسة أسئلة الإمام وأجوبتها، وبيان الراجح من الآراء وأهمية هذه الدراسة في إبراز التراث الإسلامي الذي تزخر به المكتبة الإسلامية من خلال أحد كتب التفسير ، اللباب في علوم الكتاب إذ لا يزال خصباً للدراسة والبحث ،ويتكون البحث من مقدمة، ومبحثين ، وخاتمة.

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [١]وللمؤمنين هداية ونورا والصلاة والسلام علي نبينا محمد (ﷺ) ، أما بعد :فإن كتاب الله تعالي هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد تكفل سبحانه بحفظه من التحريف ، قال سبحانه ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [٢] ولا ريب أن من وسائل حفظه تلك الجهود العظيمة التي قامت حوله من حيث تفسيره التي سخر الله من يشاء من عباده وكان من بين هؤلاء الإمام ابن عادل صاحب التفسير النفيس المسمى " اللباب في علوم الكتاب " .

(*) باحثة ماجستير بقسم الدراسات الإسلامية- كلية الآداب – جامعة الوادي الجديد

(١) سورة الكهف: ١.

(٢) سورة الحجر: ٩.

سبب اختياري الموضوع .

أولًا : المكانة العلمية المتميزة للإمام ابن عادل . رحمه الله . فقد كان " له يد طولي في فنون كثيرة "مثل التفسير والحديث والفقه والأصول .

ثانيًا : أن دراسة موضوع أسئلة وأجوبة المفسرين في كتبهم ، وجمعها ، والتعليق عليها موضوع جديد ؛ فأحببت أن أضيف بهذا العمل إلى المكتبة القرآنية جديداً ينتفع الناس به.

ثالثًا: أن دراسة أسئلة المفسرين وأجوبتهم لها أثر بالغ في حياة الباحث العلمية ، لأنها في الحقيقة دراسة تفسيرية مقارنة ، لا تكتفي بذكر أحد الأجوبة ، ولا بتقديم أحد الأقوال من غير دليل ، بل لابد من جمع الأقوال في المسألة ، وتمحيصها وبيان الراجح بالدليل.

رابعًا : أن دراسة هذا الموضوع يتيح للطالب الاطلاع على كثير من كتب التفسير ، والحديث ، والعقيدة ، وغيرها بحسب موضوع كل سؤال ؛ مما يكسب الطالب توسعاً في المعارف الإسلامية ، والعلوم المتنوعة.

المنهج المتبع في البحث:

النهج التحليلي والمنهج الوصفي والمنهج المقارن .

الخطوات التي سرت عليها في هذا البحث:

١. اعتمدت في هذا الموضوع على تفسير الإمام ابن عادل رحمه الله المسمى "اللباب في علوم الكتاب".

٢. قمت بعرض نص السؤال والجواب الذي طرحه الإمام ابن عادل . رحمه الله تعالى . مع وضع عنوان مناسب للمسألة يحمل صيغة سؤال.

الدراسات السابقة:

١– اختيارات ابن عادل في كتابه اللباب في علوم الكتاب من أول الفاتحة إلي آخر النساء رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم القري للباحث عبد الله بن عمير بن عبدالله الحصين٢٠٠٩م.

٢- آراء ابن عادل العقيدية في تفسيره اللباب في علوم الكتاب عرضا ودراسة رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من الجامعة الأردنية كلية الآداب واللغات للباحث حسني عودة سعود ٢٠٠٨م.

٣- موقف ابن عادل الحنبلي من المسائل الخلافية في كتابه اللباب في علوم الكتاب رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة بورسعيد كلية التربية للباحث لافي بن محمد العنزي ٢٠١٦م.

خطة البحث.

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن يكون في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهرس لأهم المصادر والمراجع. المقدمة وتشتمل علي:

- أسباب اختياري الموضوع.
- الخطوات الذي سرت عليه.
- الدراسات السابقة.
- المبحث الأول: الإلهيات.
- المبحث الثاني: النبوات.

وخاتمة : سجلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة بحمد الله، هذا وأسأل الله . أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يكتب له القبول، وأن ينفع به قارئه وكاتبه ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

المبحث الأول : الإلهيات

المسألة الأولى

لم قدم ذكر العبادة علي الاستعانة ؟

في قوله تعالي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]

مسألة : قال الإمام ابن عادل . رحمه الله . فإن قيل: لم قدم ذِكْرُ العِبَادَةِ على الاستعانَةِ، والاستعانةُ لا تكون إلاَّ قبل العبادة؟ قلنا: هذا يلزمُ من جَعَلَ الاستعانةَ قبلَ الفعل، ونحن نَجْعلُ التوفيقَ، والاستعانةَ مع الفعل، فلا فرق بين التقديم

(١) سورة الفاتحة :٤.

والتأخير. وقيل: الاستعانَةُ نوعُ تعبُّدٍ، فكأنه ذكر جملة العبادَةِ أوّلاً، ثم ذكر ما هو من تفاصيلها وأطلق كُلاًّ من فِعْلَيْ العبادَةِ والاستعانَةِ فلم يذكر لهما مفعولاً؛ ليتناول كل معبود به، وكلَّ مُسْتَعان [عليه] ، أَوْ يكون المُرادُ وقوعَ الفعلِ من غير نظر إلى مفعول؛ نحو:﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ﴾ [١] أي أوقعوا هذين الفِعْلَيْنِ. [٢]

عرض المسألة :

وقد أجاب العلماء عن هذا السؤال بالكثير من الأجوبة :

أحدهما : ما أجاب به الإمام ابن عادل . رحمه الله . من أن هذا القول (يعني السؤال عن سر تقديم العبادة على الاستعانة) إنما يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ، وهو (يعني الإمام ابن عادل) يجعل الاستعانة والتوفيق مع الفعل ، سواء قرنه به أم جاز . [٣]

وبناء على هذا القول فليس هناك فرق في تقديم العبادة على الاستعانة أو العكس ، وقريب من هذا القول ما قاله الإمام الطبري . رحمه الله . عند تفسيره لهذه الآية حيث قال " إنه لما كان معلوما أن العبادة لا سبيل للعبد إليها إلا بمعونة من الله . جل ثناؤه . ، وكان محالا أن يكون العبد عابدا إلا وهو على العبادة مُعَانٌ وأن يكون معاناً عليها إلا وهو لها فاعل ؛ سواء كان تقديم ما قدم منهما على صاحبه كما سواء قولك للرجل إذا قضى حاجتك فأحسن إليك في قضائها قضيت حاجتي فأحسنت إلي ؛ فقدمت ذكر قضائه حاجتك ، أو قلت أحسنت إلي فقضيت حاجتي ؛ فقدمت ذكر الإحسان على ذكر قضاء الحاجة لأنه لا يكون قاضيا حاجتك إلا وهو إليك محسن ولا محسنا إليك إلا وهو لحاجتك قاض ، فكذلك

---

(١) سورة البقرة: ٦٠.

(٢) اللباب في علوم الكتاب لأبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي مُحَمَّد معوض ط دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان١٤١٩ هـ -١٩٩٨م ، الطبعة: الأولى ص(٢٠٢/١).

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل المؤلف علاء الدين بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن المعروف بالخازن المتوفى ٧٤١هـ تصحيح مُحَمَّد على شاهين الناشر دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ص(٧٩/١).

سواء قول القائل اللهم إنا إياك نعبد فأعنا على عبادتك وقوله اللهم أعنا على عبادتك فإنا إياك نعبد ".

الثاني: أن تقديم العبادة على الاستعانة له سر ، وقد اختلف العلماء في تحديد هذا السر إلى عدة أقوال هي : ١. أن الاستعانة نوع من أنواع العبادة فكأنه ذكر جملة العبادة أولاً ثم ذكر ما هو من تفاصيلها . [١]

٢. أن تقديم العبادة على الاستعانة من باب تقديم الغايات على الوسائل إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها. [٢]

٣ . أن العبادة قدمت على الاستعانة لكون الأولى (يعني العبادة) وسيلة إلى الثانية

(يعني الاستعانة) ؛ وتقديم الوسائل سبب لتحصيل المطالب " يعني أن العبد عندما يعبد الله . عز وجل . فإنه يتخذ هذه العبادة وسيلة يتوسل بها إلى طلب المعونة من الله . عز وجل . [٣]

قال الإمام ابن عرفة المالكي . رحمه الله . في الجواب على مثل السؤال الذي طرحه الإمام ابن عادل : " وكان يمشي لنا الجواب عن ذلك بأن هذا أقرب لكمال الافتقار وخلوص النية ؛فإنّ المكلف إذا أَقَرّ أوّلا بأن لاَ قُدْرة له على الفعل إلا بالله ، ثم فعل العبادة ؛ فإنّه قد تحول نيته بعد ذلك ، وتزهو نفسه ، ويتوهّم أن الفعل الواقع منه بقدرته استقلالا، فإذا أقر بعد الفعل بأنه لا إعانة له عليه إلا بالله كان نفيا للتهمة وأقرب لمقام التذلّل والخضوع ".

و بعد عرض الأجوبة التي أجاب بها العلماء على هذا السؤال يمكن القول والله . تعالى . أعلم بما يلي :

---

(١)جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر مُحَّد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، ط : دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ . ص(١ /٧٠).

(٢)التفسير القيم لابن القيم جمعة مُحَّد أويس الندوي ، حققه : مُحَّد حامد الفقي ، ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ص(١ /٦٦).

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن مُحَّد الشوكاني ، ط : دار الفكر – بيروت ص(١ /٢٣).

إن القول بأن هناك سر في تقديم العبادة علي الاستعانة أولي بالصواب لأن المتأمل في الأقوال التي ذكرها العلماء في وجه الحكمة من تقديم العبادة على الاستعانة يرى أن هذا القول هو الصحيح. والله أعلم .

المسألة الثانية

ما الفائدة في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ وخلقهم لا يقتضي وجوب العبادة ؟

في قوله تعالي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]

مسألة: قال الإمام ابن عادل . رحمه الله . فإن قيل: ما الفائدة في قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ، وخلق الذين من قبلهم لا يقتضي وجوب العبادة عليهم.

والجواب: أن الأمر وإن كان على ما ذكر ولكن علمهم بأن الله – تعالى – خلقهم كعلمهم بأنه خلق من قبلهم؛ لأن طريقة العلم بذلك واحدة. [2]

عرض المسألة :

وقد أجاب على هذا السؤال بجوابين :

أحدهما: أن هذا جاء على طريقة المبالغة في التفصيل والبيان.

الثاني: أن الفائدة من وراء ذكره هو المبالغة في الدعوة إلى عبادة الله . عز وجل . والمعنى: إذا كان الله قد تفضل عليكم وعلى من قبلكم بالخلق والإيجاد؛ فينبغي ألا تتوجهوا بالعبادة إلا إليه ، لأنه المستحق للعبادة وحده دون سواه .

قال الإمام إسماعيل حقي . رحمه الله . :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي: من زمن قبل زمانكم من الأمم ؛ فمن ابتدائية متعلقة بمحذوف وفي الوصف به إيماء إلى سبب وجوب عبادته؛ فإن خلق أصولهم من موجبات العبادة كخلق أنفسهم ، وفيه دلالة على شمول القدرة وتنبيه

([1])سورة البقرة :٢١.

([2])اللباب في علوم الكتاب ص(١ /٤١٤) .

من سنة الغفلة ، أي : أنهم كانوا فمضوا وجاءوا وانقضوا فلاتنسوا مصيركم ولا تستجيزوا تقصيركم. [١]

والناظر إلى الجوابين اللذين أجاب بهما الإمام ابن عادل . رحمه الله . يرى ، لا مانع من الجواب بهما معاً

والقارئ لكتب التفسير يجد أن العلماء قد ذكروا أسراراً وفوائد أخرى غير التي ذكرها الإمام ابن عادل . رحمه الله . من ذلك :

وما قاله الشيخ محمد أبو زهرة . رحمه الله . حيث قال : " ووصفه ثالثا بأنه خلق الذين من قبلهم ، وقد يسأل سائل: لماذا كان هذا الوصف ، والسابق يتضمنه، فمن خلق جيلا فإنه يخلق الأجيال كلها: من مضى ، ومن حضر ، ومن يجيء بعد ذلك من الأخلاف ؟

والجواب على ذلك أنه لَا يغني المتضمن عن الصريح ، وذكر الجيل السابق ، أو الأجيال السالفة للإشارة أولا إلى عموم قدرته ، وإلى أنه قادر على الإحياء والإماتة فهو خلق السابقين، وأماتهم ثانيا، وللإشارة إلى أن الحاضرين ليسوا مخلدين ، فهم سيموتون ، كما مات من سبقوهم وسيبعثون جميعا يوم الدين ، ولأن العرب كانوا يعتزون بأسلافهم فالله . سبحانه وتعالى . يبين أنه هو وحده الذي خلق أسلافهم ، سواء كانوا ضالين أم كانوا مهتدين، وإن صفة الربوبية وصفة الخلق والتكوين للكون كله ، ولمن حضر من الناس ، ومن سبقوهم وقبروا في مقابرهم ، تقتضي ألا يعبد سواه ، ولا يحمد غيره ، ولا يستحق الإلوهية الحق غيره، فهو الله الواحد الأحد. [٢]

---

(١) روح البيان المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي, المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت ، ص(١ /٧٥).

(٢) زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)ط: دار النشر: دار الفكر العربي،ص (١ /١٥٧).

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- العدد الثالث عشر

المبحث الثاني : النبوات .

المسألة الأولى

لماذا ذكر الله اليهود المعاصرين للنبي (ﷺ) بالنعم التي أنعمها علي أجدادهم من قبل ؟

في قوله تعالي ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [1]

مسألة : قال الإمام ابن عادل . رحمه الله . فإن قيل: إن هذه النِّعم إنما كانت على المُخَاطبين وأسْلافهم، فكيف تكون نعمة عليهم؟

فالجواب: لَوْلاَ هذه النعم على آبائهم لما بقوا، فصارت النعم على الآباء نعمة على الأبناء، وأيضاً فالانتساب إلى الآباء المخصوصين بنعم الدِّين والدنيا نعمة عظيمة في حق الأولاد، وأيضاً فإنّ الأولاد متى سمعوا أن الله تعالى خصّ آباءهم بهذه النِّعَم لطاعتهم وإعراضهم عن الكفر رغب الولد في هذه الطريقة؛ لأنَّ الولد مجبول على الاقتداء بالأب في أفعال الخير، فيصير هذا التذكر داعياً إلى الاشْتِغَال بالخيرات. [2]

عرض المسألة :

وقد أجاب الإمام ابن عادل بعدة أجوبة منها :

الأول : لَوْلاَ هذه النعم على آبائهم لما بقوا، فصارت النعم على الآباء نعمة على الأبناء.

الثاني : فالانتساب إلى الآباء المخصوصين بنعم الدِّين والدنيا نعمة عظيمة في حق الأولاد.

الثالث : فإنّ الأولاد متى سمعوا أن الله تعالى خصّ آباءهم بهذه النِّعَم لطاعتهم وإعراضهم عن الكفر رغب الولد في هذه الطريقة؛ لأنَّ الولد مجبول على الاقتداء بالأب في أفعال الخير، فيصير هذا التذكر داعياً إلى الاشْتِغَال بالخيرات.

---

(1) سورة البقرة :٤٠.

(2)اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ص(٢/ ٩).

وبالنظر في كتب التفاسير نجد أن هناك أجوبة أخري إضافة إلي ما أجاب به ابن عادل منها : ما قاله الإمام القرطبي في معرض تفسيره للآية محل البحث قال : والنعم علي الآباء نعم علي الأبناء لأنهم يشرفون بشرف آبائهم . [1]

وقال بهذا القول الإمام الواحدي في تفسيره حيث قال : والمراد بقوله تعالي﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ أي علي آبائكم والنعمة علي آبائهم نعمة عليهم . [2]

وقد أثار الإمام الرازي . رحمه الله . هذا السؤال وأجاب عنه من وجوه حيث قال : فإن قيل هذه النعم ما كانت علي المخاطبين بل كانت علي آبائهم لما بقوا فما كان يحصل هذا النسل فصارت النعم علي الآباء كأنها نعم علي الأبناء .

وثانيها : أن الانتساب إلي الآباء وقد خصهم الله تعالي بنعم الدين والدينا نعمة عظيمة في حق الأولاد .

وثالثها :الأولاد متي سمعوا أن الله خص آباءهم بهذه النعم لمكان طاعتهم وإعراضهم من الكفر والجحود ورغب الولد في هذه الطريقة لأن الولد مجبول علي التشبه بالأب في الأفعال الخير فيصير هذا التذكير داعيا إلي الاشتغال بالخيرات والإعراض عن الشرور. [3]

وفي الحقيقة فقد جاءت أقوال السادة المفسرين حول ما أجاب به الإمام الرازي .

فقد قال الإمام الكرماني في تفسيره : والنعمة علي الآباء نعمة علي الأبناء إذ لولاها لم يبق نسلهم ولأن الانتساب إلي آباء خصهم الله تعالي بنعم الدين والدينا نعمة عظيمة في حق الأولاد ، ولأنهم إذا علموا أن آباءهم إنما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والإعراض عن الكفر والجحود ، رغبوا في هذه الطريقة لأن الابن

---

(1)تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن المؤلف أبو عبد الله مُحَمَّد بن احمد بن أبى بكر بن أبى فرج الأنصاري الخزرجى شمس الدين القرطبي المتوفى (٦٧١هـ) تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر دار الكتب المصرية_ القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ص(١ /٣٣٢) .

(2) التَّفْسِيرُ البَسِيْط المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: أصل تحقيقه في رسالة دكتوراه بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ، ص(١ /١٠١).

(3)مفاتيح الغيب للرازي ص(٣/ ٣٢) .

مجبول علي اتباع الأب (من أشبه آباه فما ظلم) [١]وكذلك قال الإمام أبو حيان في تفسيره البحر المحيط [٢].

وبالنظر فيما أجاب به الإمام ابن عادل وما أجاب به المفسرون علي هذا السؤال وهو لماذا ذكر الله اليهود الذين كانوا موجدين وقت نزول القرآن بنعم وهي كانت لأسلافهم نجد أن أولي هذه الأجوبة هي أنه لولا هذه النعم علي آبائهم لما بقوا فما كان يحصل هذا النسل فصارت النعم علي الآباء كأنها نعم علي الأبناء .

أي مثلا لو قدر لبني إسرائيل عدم النجاة من فرعون بأن لم يفلق الله البحر طريقا لهم أو ممكن فرعون منهم بأن لم يستطيعوا الهرب منه أكان لليهود الموجدين في زمن النبي (ﷺ)وجود وذكر كلا فلولا هذه النعمة وهي النجاة من فرعون لا تنقطع نسل بني إسرائيل من زمن ولم يبق يهودي علي وجه الأرض .

وإذا كان الأمر والواقع بخلاف ما افترضنا وأنعم الله علي بني إسرائيل بأن أنجاهم من فرعون وجنوده وصار لهم فالنعمة علي الآباء نعمة علي الأبناء فوجب عليهم ذكرها وشكرها والله أعلم .

وبهذا يكون هذا الجواب المذكور آنفا أوجه وأولي من جوابي الإمام ابن عادل حيث يشهد لهذا الترجيح ولصحته القاعدة الترجيحية التي تقول (التقدير الموافق لغرض الآية وأدلة الشرع مقدم علي غيره) [٣]

فنعم الله كثيرة علي بني إسرائيل الأوائل يعلمها اليهود المعاصرين للنبي (ﷺ) ولا ينكرونها وهذه النعم هي سبب بقاء اليهود إلي الآن ولهذا ذكرهم الله بها . والله أعلم

---

(١)غرائب التفسير وعجائب التأويل المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، بيروت ص(١ /٢٧٠).

(٢)البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي مُحَمَّد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠هـ ص(١ /٣٢٩).

(٣)قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي ط الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .ص(٢ /٤٤٤).

المسألة الثانية

كيف يجوز جحد العلم من جماعة بنى إسرائيل ؟

في قوله تعالي﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [1]

مسألة :قال الإمام ابن عادل . رحمه الله . فإن قيل : إن كان الأمر هكذا فكيف يجوز جحده من جماعتهم ؟فالجواب من وجهين :

الأول : أن هذا العلم كان حاصلا عند العلماء في كتبهم ، لكن لم يكن منهم عدد كثير فجاز منهم كتمان ذلك .

الثاني : أن ذلك أي النص كان خفياً لا جلياً فجاز وقوع الشك فيه . [2]

عرض المسألة :

وقد أجاب المفسرون علي هذا بعدة أجوبة منها:

القول الأول : ذهب السمرقندي [3]،والواحدي[4] ،إلى القول بأن سبب جحد العلم هو أن النص كان خفياً لا جلياً .

قال الإمام النحاس –رحمه الله – قوله تعالي﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ أي أدوا ما فرضت عليكم من فرائض ووجهوا إلي شكر نعمتى ولا تشكروا غيرى ويكون أوفوا بعهدي الذي أخذ علي النبي (ﷺ) والإقرار به والنصر له إذا بعث . [5]

([1])سورة البقرة :٤٠ .

([2])اللباب في علوم الكتاب ص (٢ / ١١) .

([3]) بحر العلوم لنصر بن مُحَمَّد بن أحمد أبي الليث السمرقندي ، ط : دار الفكر – بيروت ، تحقيق : د.محمود مطرجي ، (٢٤٧/١).

([4])الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: صفوان عدنان داو ودي دار النشر: دار القلم, الدار الشامية – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.، ص(١٠١/١).

([5])إعراب القرآن المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن مُحَمَّد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم الناشر: منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ ، ص (٤٨/١) .

القول الثاني : أن هذا العلم كان حاصلا عند العلماء في كتبهم ، لكن لم يكن منهم عدد كثير فجاز منهم كتمان ذلك عن ابن عباس " هو أخذ عليهم في التوراة والانجيل من التصديق بمحمد (ﷺ) وطاعته واتباع أمره "

وقد ذهب إلي هذا القول أكثر المفسرين قال القرطبي [١]: عند تفسيره لقوله تعالي﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ أي : بتزين سرائركم وقيل أم في جميع أوامره ونواهيه ووصاياه فيدخل في ذلك ذكر محمد (ﷺ) الذي في التوراة وغيره وهذا قول الجمهور من العلماء وهو الصحيح وقد قال بهذا القول الإمام الرازي .[٢]

قال الإمام الطبري . رحمه الله . : أن يكون هو أخذ عليهم في التوراة من أن يبينوا للناس أمر النبي (ﷺ)كما قال تعالي﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [٣]أي أمر محمد (ﷺ)وقال تعالي﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [٤]﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾ [٥] فالمعني آمنوا بمحمد (ﷺ)وانصروه كما عهدت إليكم في التوراة أوف لكم بما عهدت لكم من دخولكم الجنة . [٦] [٧]

---

(١)تفسير القرطبي ص(٣٣٢/١).

(٢) مفاتيح الغيب لفخر الدين مُحَمَّد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ج٢ ص١٨، ط : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى .ص(١ /٤٣٢).

(٣) سورة آل عمران : ١٨٧.

(٤) سورة الأعراف :١٥٧ .

(٥)سورة القصص :٥٢ .

(٦) جامع البيان ص (٢١٤/١).

(٧)سورة القصص :٥٢ .

قال ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره أحدها : أنه ما عهده إليهم في التوراه من صفة محمد (ﷺ) وتصديق هذا في قوله تعالي ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [1].[2]

الخاتمة :

أحمد الله . تعالى . الذي يسر لي إنهاء هذا البحث ، وأساله سبحانه أن يجعل خير أعمالنا خواتمها ، وخير أيامنا يوم نلقاه . لقد عشت مع الإمام لابن عادل . رحمه الله . من خلال كتابه " اللباب في علوم الكتاب " أجمل أيام حياتي حيث أعطيته أنفس أوقاتي ، وأكثر ساعات ليلي ونهاري ، وشغفت به حباً ، حيث إنني كنت في أغلب الأوقات أقضي في البحث أكثر من عشر ساعات في اليوم الواحد ، أدرس أسئلة الإمام ابن عادل . رحمه الله . وأجوبتها ، مناقشتاً لهذه الأجوبة وأدلتها ، وأذكر ما توصلت إليه من النتائج ، مدعماً ذلك بقواعد الترجيح المعتبرة عند المفسرين وأقوال المحققين من أهل العلم .

وقد استهدفت هذه الرسالة جمع ودراسة أسئلة الإمام ابن عادل في تفسيره وأجوبتها المسائل العقدية أنموزجًا ، وقد ظهرت لي من خلال هذه الدراسة كثير من النتائج ، من أبرزها :

١ . يعتبر الإمام ابن عادل . رحمه الله . إماماً من أئمة أهل السنة ، وعلماً من أعلام التفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، بل هو إمام من أئمتهم المبدعين في هذه الفنون ، يتضح ذلك من مؤلفاته العظام التي سارت وانتشرت في الأقطار والآفاق وأثنى عليها كل من طالعها من العلماء .

٢ . اهتم الإمام ابن عادل . رحمه الله . بالتفسير بالمأثور .

٣ . سار الإمام ابن عادل . رحمه الله . في أجوبته وفق منهج أهل السنة والجماعة ، وتصدى لأهل البدع والأهواء مبيناً فساد تأويلاتهم .

([1])سورة ال عمران : ١٨٧.

([2])زاد المسير لابن الجوزي ص (٦٠/١).

٤ . التزام الإمام ابن عادل . رحمه الله . في أجوبته بآراء السلف ، وبما أجمع عليه جمهور أئمة التفسير، فقولهم مرجّح عنده على ما شذَّ عنهم.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن لا يجعل فيه نصيباً لأحد من خلقه ، وأن يكسوه ثوب القبول ، وأن ينفع به من كتبه وقرأه ، وصوّبه ، وأن يجعله مصدر خير ونفع ، وأن يكون ذخيرة لي يوم العرض عليه، الحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، (ﷺ) سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبناءً على ذلك فأوصي بما يلي:أولاً: تكملة دراسة أسئلة الإمام ابن عادل وأجوبتها.

ثانياً: الاهتمام بدراسة أسئلة العلماء وأجوبتها عامة.

ثالثاً: أوصي الباحثين أن يبحثوا المسائل بموضوعية، دون تعصب لمذهب معين.والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يكسوه ثوب القبول، وأن ينفع به من كتبه وقرأه، وصوّبه، وأن يجعله مصدر خير ونفع، وأن يكون ذخيرة لي يوم العرض عليه،والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، (ﷺ) سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع:

- اللباب في علوم الكتاب لأبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض ط دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان١٤١٩ هـ –١٩٩٨م، الطبعة: الأولى.
- لباب التأويل في معاني التنزيل المؤلف علاء الدين بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن المعروف بالخازن المتوفى ٧٤١هـ تصحيح محمد على شاهين الناشر دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، ط : دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ .
- التفسير القيم لابن القيم جمعة محمد أويس الندوي ، حققه : محمد حامد الفقي ، ط : دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ط : دار الفكر – بيروت .
- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن المؤلف أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبى بكر بن أبى فرج الأنصاري الخزرجى شمس الدين القرطبي المتوفى (٦٧١هـ) تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر دار الكتب المصرية_القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.
- التَّفْسِيرُ البَسِيْط المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: أصل تحقيقه في رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.
- روح البيان المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي, المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت.

• زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)ط: دار النشر: دار الفكر العربي،ص (١ /١٥٧).
• تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن المؤلف أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبى بكر بن أبى فرج الأنصاري الخزرجى شمس الدين القرطبي المتوفى (٦٧١هـ) تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر دار الكتب المصرية_القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.
• البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠هـ.
• قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي ط الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .
• الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: صفوان عدنان داو ودي دار النشر: دار القلم, الدار الشامية – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
• إعراب القرآن المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
• بحر العلوم لنصر بن محمد بن أحمد أبي الليث السمرقندي ، ط : دار الفكر – بيروت ، تحقيق : د.محمود مطرجي .
• مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى .